المحاضرة الثانية: في معرفة بعض الاصطلاحات الرائجة

أولاً: السنّة في اللغة والاصطلاح

السُنّة في اللغة: لها عدّة معاني: فقيل هي الطريقة المحمودة المستقيمة، وقيل هي الطريقة المعتادة سواء كانت حسنة أو سيئة، كما في الحديث الشريف: (من سنّ سنّة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة، ومن سنّ سنّة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة).

وفي الاصطلاح: هي قول المعصوم أو فعله أو تقريره. أي هي نفس القول والفعل والتقرير الواقعي للمعصوم.

وفعل المعصوم: هو عبارة عن تصرّف عملي من المعصوم بإتيان فعل أو اجتنابه. فالإتيان بالفعل يكشف عن عدم حرمته، والاجتناب عن فعل وتركه يدلّ على عدم وجوبه.

والمراد من التقرير: ارتضاء النبيّ (ص) أو المعصوم لما يمارَس بحضرته من سلوك فردي أو اجتماعي، وعدم إنكاره له، مع عدم وجود مانع يمنعه من المخالفة. أي هو إمضاء المعصوم(ع) لفعل غيره، وكان الفعل بمرأى أو مسمع منه(ع) ولم يكن في معرض التقيّة.

ثانياً: الخبر والحديث والاثر والعلاقة بينهم:

أمّا الخبر في اللغة: فهو كل كلام يبلغ الإنسان، فهو ما ينقل عن الغير، بل مطلق ما ينقل ويحكى حتى عن النفس. وأمّا معناه الاصطلاحي فسيأتي.

والحديث في اللغة، إمّا ما يقابل القديم، أو هو الخبر، فيكون الحديث والخبر مترادفان لغة.

والأثر في اللغة: بقية الشيء، والجمع آثار وأُثور . وخرجتُ في إثره وفي أثره أي بعده... والتأثير : إبقاء الأثر في الشيء . وأثر في الشيء : ترك فيه أثراً.

والأثر: الخبر ، والجمع آثار . وقوله عز وجل : (ونكتب ما قدموا وآثارهم)، أي نكتب ما أسلفوا من أعمالهم. والأثر: النقل، يقال: أثرت الحديث أي نقلته.

الفرق بين الخبر والحديث اصطلاحاً

فقد وقع الخلاف في المعنى الاصطلاحي للحديث والخبر على أقوال منها:

١ـ أنهما مترادفان وأنهما يشملان ما إذا كان المخبر به قول الرسول صلى الله عليه وآله أو الإمام عليه السلام أو الصحابي أو التابعي أو غيرهم من العلماء والصلحاء وغيرهم من بقية بني آدم، وفي معناه فعلهم وتقريرهم.

٢ـ أن الحديث أخص من الخبر، أي أنّ الخبر أعم من الحديث، فهو يشمل ما جاء عن كل إنسان، والحديث خاص بما جاء عن المعصوم. فالنسبة بينهما عموم وخصوص مطلق فكل حديث خبر وليس كل خبر بحديث.

٣ـ أنهما متباينان، وأن الحديث خاص بما جاء عن المعصوم من النبي صلى الله عليه وآله والإمام عليه السلام. والخبر خاص بما جاء عن غيره، ومن ثم قيل لمن يشتغل بالتواريخ وما شاكلها: الأخباري ولمن يشتغل بالسنة النبوية: المحدث.

العلاقة بين الحديث والخبر والأثر:

وقالوا في العلاقة بين الحديث والخبر والأثر، إنّه:

١ـ الحديث ما جاء عن المعصوم. والأثر ما جاء عن الصحابي. والخبر يطلق على الأعم منهما، أي أنه يطلق على ما جاء عن المعصوم، وعلى ما جاء عن الصحابي، وعلى ما جاء عن غيرهما من سائر الناس.

٢ـ إنّ الأثر أعم من الخبر والحديث. حيث إنّ الحديث خاص بما روي عن المعصوم، والخبر خاص بما روي عن غير المعصوم، والأثر يطلق على ما يروى عن المعصوم، وما يروى عن غير المعصوم، فهو أعم منهما مطلقا.

٣ ـ إن الأثر مساو للخبر في جميع دلالاته على اختلافها.

تحقيق معنى الحديث والخبر والأثر في الاصطلاح

والتحقيق: أنّه من خلال الرجوع إلى كلمات الفقهاء والمحدثين سنرى أنّ هذه المصطلحات تستعمل جميعاً في معنى واحد وهو ما يحكي السنّة، أي ما يحكي قول المعصوم أو فعله أو تقريره.

وذلك لأنها مأخوذة من قولهم (حدّث فلان) أو (حدّثني فلان) و (أخبر فلان) أو (خبر فلان) أو (المأثور عن فلان) و (أُثر عن فلان). أقول هذا، لأننا عندما نقول: هذا مصطلح من مصطلحات علم الحديث، نعني أن علماء هذا العلم هم الذين حدّدوا له معناه العلمي (الاصطلاحي). والطريق السليم لمعرفة هذا هو ملاحظة ومتابعة استعمالهم للفظ المصطلح

في لغتهم العلمية. ومن خلال الاستقراء لاستخدام هذه الكلمات الثلاث في لغة المحدثين والفقهاء من أصحابنا الاماميين نجدها جميعا تستعمل في الحكاية عن السنة الشريفة. وإذا أريد استعمالها في غير هذا في لغتهم العلمية تقيد بما يدل على المراد. فالحديث، وكذلك الخبر، ومثلهما الأثر، تدل على معنى واحد هو محكي السنة. فهي قد تحكي قول المعصوم، وقد تخبر عن فعله أو إمضائه (تقريره).

ثالثاً: عناصر الحديث:

يتألف الحديث من عنصرين أساسيين هما: السند والمتن.

السند لغة هو المعتمد، يقال: فلان سند، أي معتمد.

وفي الاصطلاح: هو طريق المتن، وهو جملة من رواه، أي هو سلسلة الرواة إلى المعصوم، مأخوذ من قولهم فلان سند أي يستند إليه ويعتمد عليه، فسمي الطريق سنداً لاعتماد المحدثين والفقهاء في صحة الحديث وضعفه عليه.

المتن قي اللغة ما يتقوم به الشيء، وفي الاصطلاح هو لفظ الحديث الذي يتقوم به المعنى، سواء كان قولاً أو فعلاً أو تقريراً.

وأمّا الاسناد: فهو ذكر طريقه حتى يرتفع إلى صاحبه. فيقال أسنده فلان إلى النبيّ(ص) أي ذكر طريقه إلى النبيّ.

وقد يطلق الإسناد على السند فيقال إسناده صحيح، أو ضعيف.